

الأدب الرابع المودة وإفشاء السلام

جاءت الآداب الإسلامية لإثبات المودة وإفشاء السلام مثل قوله صلى الله عليه وسلم: { لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم } فجعل إفشاء السلام سببا للمحبة، وجعل المحبة سببا لدخول الجنة: لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا ومعناه: إذا كنتم متباغضين، متقاطعين كل منكم يخذل الآخر ويغضه، ولا يبين له خطاه، فإن عاقبتهم الهلاك المحقق. ولا شك أن هذا من أسباب العذاب، بخلاف ما إذا تحاببنا وزالت البغضاء من قلوبنا، وأصبحنا إخوة متحابين في ذات الله تعالى، يحب بعضنا بعضا، ونعمل بالأسباب التي تثبت هذه المحبة؛ كتبادل الزيارات، والنصائح، وتبادل أسباب المودة وإفشاء السلام وأشباهاها. وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحث أيضا على الأسباب التي تثبت هذه المحبة والمودة، والتي تُبعد عن ضدها، كقوله - صلى الله عليه وسلم - لما سأله عن حق الطريق، قال: { حق الطريق غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر } وقال صلى الله عليه وسلم: { للمسلم على المسلم ست بالمعروف تسلم عليه إذا لقينته، وتجيبه إذا دعاك، وتشتمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتتبع جنازته إذا مات، وتحب له ما تحب لنفسك } . وكذا لو تأملنا النواهي التي نهى عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته، لعرفنا الحكمة فيها، لكونها تسبب بغضا وحقدا فقولته صلى الله عليه وسلم: { لا يبيع أحدكم على بيع أخيه } وقوله صلى الله عليه وسلم: { لا يخطب بعضكم على خطبة أخيه } وغيرها من نواهيه صلى الله عليه وسلم، مثل النهي عن الغش في المعاملات، وبيع الغرر، وبيع الأشياء المجهولة والخفية، أو بيع ما لم يقسم، إنما هي قطع لمادة العداوة والبغضاء، والحقد والشحناء بين المسلمين. فالمشترى مثلا يسيء الظن فيمن خدعه، ومن غشه أو باع على بيعه فتحدث من هذا العداوة والشحناء بينه وبين البائع وذلك كله منافٍ لحكمة الألفة والأخوة والمودة التي دعانا إليها الإسلام.